المشهد الرابع

تعودُ إنسٌ إلى وسط الخشبة، سعيدةً كطفلة وهي تضربُ كفّاً بكفّ.

إنسٌ- . اليوم بالذات سوف يكلّم الدوقة! لقد وعدني وهو جدّيّ تماماً، ويفي دائماً بوعده. طبعاً سيكلّمها! وأبي حسنُ الكلام! طبعاً فهو عالم. بالتأكيد سيقنعها. إذا كان رجل مثله لا يستطيع أن يُقنعَ هذه السيّدة بأنّني يجب أن أتزوّج من إدواردو، فبماذا ستفيده كلّ دراسته؟ وما فائدة كلّ هذه الكتب بالفرنسية والإيطالية والألمانية، بل وباليونانية؟ علم لا نفع منه! لكن، هاه، ستفعل الدوقة ما يريده منها. ثمّ إنّ الجميع يقول إنّها قديسة. أليست كذلك! ما دامت أمّ إدواردو فهي قديسة. منحكِ اللهُ قداسة طيّبة! ماذا تفيدها قداستها؟ لا شيء، لا شيء، سنتزوّج. (وقفة قصيرة.) يبدو كذباً، يبدو حلماً! لا، يا إلهي؛ إذا كان حلماً فلا توقظني منه أبداً! لكنّه ليسَ حلماً! فهذا مكتبُ والدي. وهذه هي كتبه. (وهي تقترب من أحد الرفوف.) نيوتون، كانط، هيغل، هومبولد، شكسبير، لاغرانج، أفلاطون، القديس توما... طبعاً، لو كان حلماً ما كنتُ لأتذكّر كلَّ هذه الأسماء. ما أدراني أنا بمثل هؤلاء الرجال المشاهير؟ (ناظرة من الشرفة.) وحين أكرِّرُ أنّه ليس حلماً: فلأنّ المطر يسقطُ في الخارج، يسقط ويسقط؛ يا له من مطر سعيد، كأنّ الهواء حجبٌ من بلّور وأنا أرى نفسي في المرآة (تقتربُ من المرآة بدلالٍ وغِنجٍ.)